الإمارة الأموية في الأندلس وتحولها من المذهب الأوزاعي إلى المذهب المالكي

أ.عبد الجليل بن عبد القادر ملاخ

جامعة أدرار

1- ملخص:

شهدت الأندلس كغيرها من مناطق العالم الإسلامي قيام عدّة دول وإمارات تعاقبت على حكمها، وتبقى الدولة الأموية (138-422هـ/756-1031م) التي أسسها الأمير عبد الرحمان بن معاوية الملقب بالداخل (138-172هـ/756-788م) هي العصر الذهبي لتاريخ الأندلس كله.

في الوقت الذي تبنت فيه الدولة الأموية مذهب الإمام الأوزاعي (157هـ/774م) الشامي أثناء قيامها خاصة عهد الأمير عبد الرحمان بن معاوية، فإنّ عهد ابنه هشام (172-180هـ/788-796م) قد عرف دخول كثير من فقهاء المالكية إلى الأندلس، ثم تبنت الدولة مذهب الإمام مالك بن أنس (ت179هـ/795م) الذي سيعدّ المذهب الرسمي للأندلس حتى سقوطها في يد الإسبان رسميا سنة 1492م.

دخل مذهب الإمام الأوزاعي للأندلس مع الفقيهين أسد بن عبد الرحمان، و صعصعة بن سلام الشامي (ت192هـ/807م)، أمّا المذهب المالكي فقد دخل مع الغازي بن قيس (ت180هـ/796م)، ولكن الذي أدخله كاملا و جلب معه "موطأ" مالك بن أنس مصححا هو زياد بن عبد الرحمان (ت199هـ/815م).

وقد كان لفقهاء المالكية دور كبير في العهد الأموي حتى أصبحت الأندلس بيد سلطة سياسية ممثلة في الدولة الأموية، وسلطة دينية ممثلة في فقهاء المالكية.

Résumé:

L'Andalousie comme la plupart des régions du monde islamique, a vu la naissance de plusieurs pays et Emirats qui l'ont gouverné. L'Etat Oumayad (138-422H/756-1031G) fondé par l'émir Abdelrahmane ben Mouauiya "DAKHEL" (né en 138-décédé172H/756-788G)représentait l'age d'or de l'histoire de l'Andalousie toute entière.

Si l'Etat Oumayade a adapté sa gouvernons, la doctrine de l'imam ELAWZAI (157-774H)ECHAMI, surtout l'ère de l'Emir Abdelrahmane ben Mouauiya par contre la période de son fils HICHAM (172-180H/788-796G) a connu l'entrée de bon nombre de FOUKAHA Malékite en Andalousie, ensuite cet Etat a adapté la doctrine de l'Imam MALEK ben Anes (décédé179h/795g) qui a été considérée la doctrine officielle de l'Andalousie jusqu à sa chute dans les mains des Espagnols en 1492G.

La doctrine de l'Imam ELAWZAI a fait son apparition par l'intermédiaire des FOUKAHA Assad Ben Abdelrahmane et Saasaa Ben Sallam(décédé192h/807g) or la doctrine Malékite a été ramenée par EL-GHAZI Ben Kais(décédé180h/796g) mais celui qui l'a ramenée bons corrigé, c'est ZIYAD Ben Abdelrahmane (décédé199h/815g).

Les FOUKAHA Malékite ont eu le grand mérite pendant l'ère Oumayade pour que l'Andalousie soit entre les mains d'une autorité politique représentée dans l'Etat Oumayade, ainsi qu'une autorité religieuse représentée par les FOUKAHA Malekite.

مقدمة:

شهدت الأندلس[1] منذ فتحها على يد القائد البربري طارق بن زياد في رمضان 92هـ/جويلية711م تعاقب بعض الحكام عليها، عرفت فترة حكمهم بعهد الولاة(95-138هـ/714-755م)[2] ولما دخل الأندلس القائد الأموي الفار من المشرق عبد الرحمن بن معاوية سنة 138هـ/756م، أسس بها إمارة قوية عرفت بالدولة الأموية(138-422هـ/756-1031م) وقد مرّت هذه الأخيرة بمرحلتين سُميتا بعهدي الإمارة والخلافة، وبتأسيس هذه الدولة انتشر في الأندلس مذهب الإمام الأوزاعي وهو مذهب أهل الشام مركز الخلافة الأموية في المشرق قبل سقوطها على يد العباسيين سنة 132هـ/749م، وقد اعتمدته الإمارة الأموية في عهد صقر قريش عبد الرحمن بن معاوية كمذهب رسمي لها، وبعد وفاة مؤسس الإمارة بدأ يتوسع مذهب الإمام مالك وهو مذهب أهل الحجاز وحل محل المذهب الأول.

---

[1] اختلفت المصادر في أصل التسمية، فمنهم من ينسبهم إلى أول من نزل جزيرة الأندلس وملكها بعد الطوفان وهم قوم يقال لهم الأندلس (من ولد أندلس) بن نقرش بن يافث بن نوح عليه السلام، ومنهم من ينسبهم إلى أندلس بن طوبال بن يافث بن نوح، لأنّه نزلها، إلاّ أنّ جلها تنسبها إلى قبائل الوندال véndales التي أخذت اللفظ العربي أندلس (Andalucía)، وجزيرة (شبه جزيرة) الأندلس، أو شبه جزيرة إيبيريا، أو إسبانيا والبرتغال (لوزيتانيا La Lusitania) الحاليتين، تقع جنوب غرب أروبا، يحدها شرقا البحر الأبيض المتوسط، وغربا المحيط الأطلسي (بحر الظلمات)، وجنوبا مضيق جبل طارق (بحر الزقاق أو المجاز)، وشمالا سلسلة جبال البرتات (البرانس) Pirineos التي تتخللها مجموعة من المضايق والممرات التي تصلها بفرنسا في الشمال. عن هذه التسميات انظر: محمد بن عبد المنعم الحميري، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص32-35. مجهول، تاريخ الأندلس، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1427هـ/ 2007م،ص 140. أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1415هـ/1995م، ج1، ص127 وما بعدها. الطاهر أحمد مكي، الأندلس تاريخ اسم و تطوره، مجلة الأصالة، عدد3، جمادى الثانية 1491هـ/1971م، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ص39-46.

[2] **عهد الولاة:** بدأ هذا العهد بالوالي عبد العزيز بن موسى بن النصير وانتهى بالوالي يوسف بن عبد الرحمان الفهري (ت142هـ /759م) وقد حكم خلال هذه الفترة عشرون واليا، منهم من تكررت فترة حكمه مرتين(عبد الرحمان الغافقي، وعبد الملك بن قطن)، توسعت في عهدهم الأندلس حتى وصلت أرض الإفرنج (غالة أو فرنسا الحالية). لمعرفة عهد الولاة والتوسع في فترة حكمهم أنظر: ابن عذارى، البيان، 2/23-28. عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة في قرطبة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م، ص119 وما بعدها. موسى لقبال، المغرب الإسلامي من بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج-سياسة و نظم- المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م، ص 125 و 126. عبد الرحمان علي حجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، ط5، دمشق، 1997م، ص131-212.

بعد هذه الإحاطة نطرح التساؤلات التالية: ما هي المميزات السياسة للإمارة الأموية في الأندلس؟ وكيف انتشر المذهب الأوزاعي فيها؟ وما الأسباب التي أدت لتوسع المذهب المالكي على حساب المذهب الأول؟ وهل للسلطة السياسية دور في ذلك؟

I- عهد الإمارة الأموية في الأندلس (138-316هـ/756-929م):

بعد الاضطرابات التي حدثت في المشرق الإسلامي وانتهت بسقوط الخلافة الأموية في دمشق وإعلان الخلافة العباسية عام 132هـ/749م، تعقبت الأخيرة فلول الأمويين قتلا وتشريدا إلى أن فرّ أحد أبناء هذه الأسرة من المشرق وهو عبد الرحمان بن معاوية بن هشام ودخل الأندلس سنة 138هـ/756م، وأسس بها دولة قوية مستقلة عن المغرب الإسلامي، وعن الخلافة العباسية في المشرق[1]

[1] لمزيد من التوضيح عن مسيرة المغامر "عبد الرحمان الداخل بن معاوية" من المشرق إلى الأندلس ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، ط3، بيروت، لبنان، 1400هـ/1980م، ج4 ،ص362. ابن عذارى، البيان، 40/2 وما بعدها. المقري، النفح، 322/1. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي، دار الجيل، بيروت، لبنان ومكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط15، 1422هـ/2001م، 187/2 و 188. حسين مؤنس، فجر الأندلس، الدار السعودية للنشر و التوزيع، ط2، جدّة، السعودية، 1405هـ/1985م، ص659 وما بعدها.

وقد مرت الدولة الأموية في الأندلس بمرحلتين هما:

أ- عهد الإمارة (138-316هـ/756-929م): وسمي بذلك نسبة للتسمية الرسمية التي كانت تطلق على الحاكم وهي لفظة "الأمير"، وكان يلقب نفسه أحيانا "ابن الخلفاء" نسبة للخفاء الأمويين الذين انتهت دولتهم في المشرق سنة 132هـ/749م، وقد بدأ عهد الإمارة بعبد الرحمان بن معاوية وانتهى بالأمير الخليفة عبد الرحمان بن محمد الملقب بالثالث، وبالناصر لدين الله كما سنبيّن لاحقا.

ب- عهد الخلافة (316-422هـ/929-1031م):

من بداية هذا العهد، أصبح لقب "الخليفة" بدلا من "الأمير" يطلق على حكام بني أمية في الأندلس، وأصبح اسم الخليفة يذكر على المنابر، ويكتب في المراسلات الرسمية وغيرها، ويعد الأمير عبد الرحمن الناصر بن محمد أول من لقب نفسه خليفة في الأندلس سنة 316هـ/929م، وانتهى عهد الخلافة بسقوط الدولة الأموية في عهد هشام بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر الملقب بالمعتد بالله (418-422هـ/1027-1031م).

وسيقتصر حديثنا في الموضوع على عهد الإمارة الأموية، ونركز على الأمراء الأربعة الأوائل لأنّه في عهدهم انتشر المذهبان الأوزاعي والمالكي.

1- عبد الرحمان الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك (138-172هـ/756-788م)[1]:

هو مؤسس الإمارة وواضع قواعدها، واجه أثناء فترة حكمه عدّة ثورات وفتن وحروب على الصعيدين الداخلي والخارجي، ففي الداخل أنهى حكم الولاة عندما قضى على أصحاب السلطان القديم من أمثال يوسف الفهري والصميل بن حاتم[2] كما أنهى ثورة العلاء بن مغيث الجذامي (ت147هـ/767م) الذي وعده الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور(136-

---

[1] عبد الرحمان بن معاوية: يكنى أبا المطرّف و قيل أبا سليمان، ولقب بالداخل لأنّه أول من دخل الأندلس من بني أميّة، ولقّبه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بصقر قريش كونه خرج من المشرق شريدا طريدا واستطاع تكوين إمارة قوية بالأندلس.

[2] يوسف بن عبد الرحمان الفهري آخر الولاة بالأندلس، أمّا الصميل بن حاتم فهو قائده ولكنه كان الحاكم الفعلي للأندلس، عنهما انظر: لسان الدين بن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية ، تحقيق و تعليق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط2، بيروت، لبنان، 1956، ص8 .ابن عذارى، البيان، 48/2 وما بعدها. أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي و الأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1972م، ص 302 وما بعدها.

Lévi Provençal, Histoire de l`Espagne Musulmane G-P Maisonneuve, Paris - E.J.Brill, Leden, 1950,Tome I, P101 et suite.

158هـ/754–775م) بالإمارة إن أنهى حكم عبد الرحمان الداخل[1] وثورة البربري شقيا (شقنا) بن عبد الواحد المكناسي سنة 152هـ/769م الذي زعم أنّه ينتسب إلى ولد الحسن بن علي بن أبي طالب وزوجه فاطمة الزهراء، خاصة إذا علمنا أنّ أمه تسمى فاطمة، وتسمَّى هو بعبد الله بن محمد، وقد انتحى شقيا إلى شرق الأندلس، في جهة شنتبرية (Santaver) وانضمّت إليه الغوغاء من البربر، وقد حاول الأمير عبد الرحمن القضاء عليه عدّة مرّات إلاّ أنّه فشل بسبب اختيار شقيا للجبال الوعرة عندما تصله فيالق الأمويين، ولم يحسم أمره إلاّ سنة 160هـ/777م عندما قتله أتباعه وأُخذ رأسه للأمير عبد الرحمن.[2]

أمّا على المستوى الخارجي فقد واجه ملك الإفرنج شارلمان (ت199هـ/814م)[3] عام 161هـ/778م الذي ساعده الخليفة العباسي المهدي (158–169هـ/774–785م)، لكن عبد الرحمن خرج منتصرا قويا[4]

وقد كانت للأمير مساهمات في المجال الحضاري، فبعدما اختار قرطبة[5] عاصمة له سعى إلى توسيعها وإعادة بناء جامعها (169هـ/785م)، وأنشأ بها دارا للسكة تضرب فيها النقود، وأبقى على تقسيمات البلاد إلى مقاطعات أو كُوَرٍ، وجعل من الأندلس نموذجا لعاصمة الخلافة الأموية سابقا في دمشق، وفي الشام عموما، أمّا التجديد فنراه عندما جعل على رأس حكومته ومساعديه موظفا اسمه الحاجب، وهو يتقدم على الجميع بما في ذلك الوزراء ومستشاري الأمير، فهو يرأس الجهاز التنفيذي للدولة، وينوب عن الحاكم، أمّا دينياً فقد انتشر

---

[1] ابن عذارى، البيان 51/2 و52. حجي، التاريخ، ص240 وما بعدها. محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، العصر الأول، القسم الأول، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 1389هـ /1969م، ص 161–163.

[2] ذكر ابن الأثير قيام الثورة سنة 151هـ/768م. للتفصيل أكثر ابن عذارى، البيان 54/2 و55. ابن الأبار القضاعي (ت685هـ/1286م)، درر السّمط في خبر السبط، تحقيق عز الدين عمر موسى، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1407هـ/1987م، ص32. ابن الأثير، الكامل، 34/5 وما بعدها. آنخل جنتالث بالنتيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.س.ط، ص 3 و323.

[3] مؤسس الإمبراطورية الإفرنجية الكارولنجية التي قامت على أنقاض الإمبراطورية الإفرنجية الميروفنجية، وقد ضمّت تقريبا فرنسا الحالية وغرب ألمانيا ونصف إيطاليا وجزر البحر المتوسط الغربية وثغور نافار وكاتالونيا، لمزيد من التوضيح ينظر: نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوربا، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.س.ط، ج1/ص150 وما بعدها.

[4] عن هذه الحرب والتقارب العباسي–الكارولنجي، انظر: ابن الأثير، الكامل، 41/5. الأمير شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.س.ط، ص120 وما بعدها. عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص201 وما بعدها. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص312 وما بعدها. حجي، التاريخ، ص224.

[5] **قرطبة**: قاعدة الأندلس، وأم مدائنها، ومستقر خلافة بني أميّة، تفسيرها بلسان القوط– قرطبة – بالظاء المعجمة، معناه الفلوب المختلفة، انظر الحميري، مصدر سابق، ص456–459.

في عهده مذهب الإمام الأوزاعي (88–157هـ) الشامي، وصار المرجع الأول في أمور القضاء والتشريع، توفي الأمير عبد الرحمان في ربيع الثاني 172هـ/أكتوبر 787م.[1]

[1] عن سيرة الأمير، انظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1972، ج4 ،ص 154 وما بعدها. ابن عذارى، البيان، 47/2 وما بعدها. المقري: النفح، 318/1 وما بعدها، 4/ 24 وما بعدها. مجهول، التاريخ، ص53. جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، د.س.ط، ص418. محمد عبد الله عنان، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1390هـ/1987م، ص 139 وما بعدها.

2- هشام الرضى بن عبد الرحمن (172-180هـ/788-796م)[1]:

خلف أباه في الإمارة، وكان حاكما ورعا تقيا، ولهذا لقب بالرضى، وشبهه بعض المؤرخين بالخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/717-719م)، وقد كان ميّالا للسلم إلاّ أنّ الفتن والثورات حالت دون رغباته، فعلى المستوى الداخلي حارب أخاه سليمان وانتصر عليه، وقضى على ثورة إقليم طولوشة سنة 172هـ/789 بزعامة سعيد بن حسين الأنصاري الذي جمع اليمنية، وثورة مطروح بن سليمان الأعرابي في برشلونة سنة 173هـ/789م.

أمّا على المستوى الخارجي فقد حارب النصارى في الشمال الغربي لإسبانيا أين توجد مملكة أشتوريس، كما توسع شمالا صوب فرنسا الحالية أين توجد الإمبراطورية الكارولنجية سابقة الذكر، وقد خلّد هشام ذكر هذه الحملة التي توسعت شمالا حتى وراء جبال البرنيه[2] بأن نقل بعض الأحجار والتراب من هذه المناطق وزاده في توسعة جامع قرطبة، وحقق في جل حروبه الانتصارات لولا الهزيمة التي تلقاها في مملكة أشتوريس أمام ألفونسو الثاني [3]

---

[1] عن وقائع تولي الأمير هشام الحكم بدلا من أخيه سليمان انظر: المقري: النفح، 322/1 و323. ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا، ص11 وما بعدها. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روحيّة عبد الرحمان السويفي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1417هـ/1997م، ص12. ابن عذارى، البيان، 61/2 وما بعدها.

[2] جبال البريبنيه: يطلق على هذه الجبال لفظ البرتات (Portus) بمعنى ممر أو مدخل أو باب، وقد عرّبها الجغرافيون المسلمون إلى باب أو أبواب. ابن عذارى، البيان، ج2/ص1. المقّري، النفح، ج1/ص130. محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، دار النفائس، ط2، 1429هـ/2008م، ص15.

[3] للتوسع أكثر في سيرة الأمير هشام، أنظر: ابن الخطيب، تاريخ ، ص 12 و 13. ابن عذارى، البيان، 62/2-63. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص323. عبد المجيد النعنعي، تاريخ الدّولة الأموية في الأندلس-التاريخ السياسي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.س.ط، ص176-178. طقوش، مرجع سابق، ص 173 وما بعدها.

تميّز عهد هشام الرضى بوصول التأثيرات الحجازية بدلا من الشامية والعراقية إلى الأندلس، خاصة من مكة و المدينة، اللتين اهتمتا في هذه الفترة بالعلوم الدينية وبخاصة الفقهية، وتطلعت أنظار الأندلسيين إليهما حجا ورحلة، وكانت النتيجة دخول مذهب الإمام مالك بن أنس (ت179هـ/795م) الأندلس، وبدأ انحسار مذهب الإمام الأوزاعي (ت180هـ/ 796م)، وكان للأمير هشام دور كبير في مساعدة فقهاء المالكية لنشر مذهبهم، وإن كان من بين أسباب ذلك كما ذكر حسين مؤنس، البحث عن السّند الشرعي للإمارة في ظل وجود الخلافة العباسية الشرعية القائمة في بغداد، وتوفي الأمير هشام في صفر عام 180هـ/796م[1]

3- الحكَم الربضي بن هشام(180-206هـ/796-822م):

خلف أباه هشام في الحكم رغم أنّه ليس الابن الأكبر سنًّا، وكان قويا حازما حتى شبه بالخليفة العباسي أبي جعفر المنصور(136-158هـ/754-775م)، تميز عهده هو الآخر بكثرة الفتن والثورات على الصعيدين، الداخلي والخارجي، ففي الداخل واجه أعمام أبيه عبد الله البلنسي بن عبد الرحمن الذي توجه لشارلمان يطلب منه المساعدة، ولما فشل طلب العفو من الحَكم الذي عفى عنه وعينه أميرا على بلنسية التي إليها انتسب، وسليمان بن عبد الله الذي ألقى القبض عليه وأمر بقتله، ومن أصعب الثورات الداخلية في عهد الحكم نجد ثورة المولدين في طليطلة بقيادة عبيدة بن حكيم وقد قضى عليها بذكاء.

حاول الحَكَم في عهده تهميش فقهاء المالكية وإبعادهم عن الحكم مخالفا في ذلك سياسة أبيه، لكن هذه السياسة جلبت له كثيرا من المصاعب كتدبير الفقهاء لعزله وتعويضه بابن عمّ له.

---

[1] المقري: النفح، 322/1 وما بعدها. ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا، ص12. ابن خلدون: تاريخ، 160/4. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 323 وما بعدها. النعنعي، مرجع سابق، ص179. حسين مؤنس، شيوخ العصر في الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص13. عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص213 وما بعدها

اسمه: القاسم بن محمد بن المنذر بن عبد الرحمان الداخل، وقد وَشَى القاسم بهم للأمير الحَكَم، وكانت النتيجة هي إعدامه اثنين وسبعين من مدبري المؤامرة وصلبهم عام 189هـ/805م، ولم يتوقف نشاط فقهاء المالكية عند هذا الحد بل كانوا وراء ثورة "أهل ربض شقندة" جنوب قرطبة في 13رمضان 202هـ/25مارس817م التي تعد من أصعب ما خاض الحَكَم من حروب، خاصة وأنّها كادت أن تنهي حكمه لولا تفطنه و شدة ذكائه، وكانت النتيجة تهديم الحَكم لهذا الربض وطرد أهله من الأندلس، وبسبب هذا الربض لقب الحَكَم بالربضي، ولكن في الوقت نفسه تعدّ هذه الواقعة حدثا فاصلا في تاريخ البيت الأموي، إذ جعلت الحَكَم يرجع إلى تقريب فقهاء المالكية، ويدرك بأنّ الإمارة لا تقوم بسند القوة وحده، ومما مكّن للمالكية في السلطة أكثر بعد ذلك.

أمّا على المستوى الخارجي فقد تعرضت الأندلس لهجومات الملك شارلمان الكارولنجي من جهة الشمال، وذلك بعدما عقد حلفا مع ملك أشتوريس ألفونسوا الثاني، واستطاع شارلمان تحقيق انتصارات كبرى أهمها إستلاؤه على برشلونة 186هـ/802م في شمال الأندلس، وظلّ صراع الحَكم متواصلا ضد شارلمان وممالك النصارى في الشمال[1].
توفي الحَكَم عام 25 ذي الحجة 206هـ/11 ماي 822م[2]

4- عبد الرحمن الأوسط بن الحَكم (206-238هـ/822-852م):

خلف عبد الرحمن أباه على الإمارة، وهو الملقب بعبد الرحمن الثاني، لأنّ الأول هو عبد الرحمن بن معاوية(الداخل)، تميّزت فترة حكمه الطويلة بأحداث كثيرة، فعلى المستوى الداخلي جدَّدَ عبد الله البلنسي وهو أحد أعمامه الثورة عليه، وكذلك استفحل الصراع بين القيسية و اليمنية، ولكن أقوى الثورات في عهده كانت ثورة ماردة سنة 213هـ/828م التي قام بها البربر بزعامة محمود بن عبد الجبار المصمودي، وقد انضم إليها المولد سليمان بن مرتين، وكان الثوار قد استعانوا بملك أشتوريس ألفونسوا الثاني، لكن عبد الرحمن انتصر في النهاية، بالإضافة إلى ثورة طليطلة سنة 214هـ/829م، وحركة الرهبان التي قادها

---

[1] عن أهم ما ميّز فترة الحَكم من فتن وثورات، أنظر: المقري، النفح 327/1 وما بعدها. طقوش، مرجع سابق، ص 182 وما بعدها. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 329 وما بعدها. مؤنس، شيوخ، ص 20 وما بعدها.

[2] المقري، النفح 327/1 وما بعدها. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 329 وما بعدها. طقوش، مرجع سابق، ص187-194. النعنعي، مرجع سابق، ص205 وما بعدها. عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص220 وما بعدها. مؤنس، شيوخ، ص 20 وما بعدها.

المستعربون* بقيادة إليخيو، وهي حركة تسب الرموز الإسلامية كرسول الله صلى الله عليه وسلم، والإسلام علنا في قرطبة وغيرها.

أمّا على المستوى الخارجي فقد تواصل الصراع مع الإمبراطورية الكارولنجية التي عمل ملكها شارل الأصلع (خلف أباه في الجزء القريب من الأندلس) على مهادنة الأمير عبد الرحمن، وبالنسبة للملكة الإسبانية أشتوريس فالصراع بقي متواصلا، ولكن ما ميّز عهد عبد الرحمن هو حدوث التقارب البيزنطي–الأندلسي عندما أرسل الإمبراطور تيوفيل سفارة برئاسة قرطيوس (يوناني يفقه العربية جيّدا) للأمير عبد الرحمن، وكانت نتائجها إيجابية على الأمويين، خاصة بعد الحصار الذي فرضه العباسيون على الأمويين في أروبا، بإقامة علاقات حسنة مع الكارولنجيين، كما واجه عبد الرحمان خارجيا هجمات النورمان (رجال الشمال) أو الفيكينغ على سواحل الأندلس وهم القادمون من شمال أروبا، وكانت لهم قوة بحرية رهيبة، من أهم المدن التي دخلوها وخرّبوها مدينتي شذونة[1] واشبيلية[2] وغيرهما، وكان لهذه الهجمات أثر كبير في تطور البحرية الأندلسية[3].

عرف عهد عبد الرحمان الأوسط انتقال التأثيرات العراقية إلى الأندلس، عكس ما عرفه أسلافه من تأثيرات شامية وحجازية، وذلك بسبب التطور الذي عرفته بغداد عاصمة الخلافة العباسية، فدخلت العلوم العقلية ككتب الحساب، ودخلت الموسيقى بدخول المغني زرياب، وقام الأمير عبد الرحمن عمرانيا ببناء مسجد كبير في اشبيلية[4].

---

* المستعربون: هم نصارى الإسبان الذين عاشوا مع المسلمين في الأندلس، وتعلموا العربية و أخذوا بتقاليد المسلمين، لكنهم حافظوا على ديانتهم النصرانية.

[1] شذونة: تقع في الجنوب الغربي للأندلس، وهي كورة متصلة بكورة مورور، كما كانت من الكور المجندة، من أقاليمها شريش وغيرها. الحميري، مصدر سابق، ص 339.

[2] اشبيلية (Sevilla): مدينة جليلة بالأندلس بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام ومن الأميال ثمانون، أصل تسميتها باللاتنية الأرض المنبسطة، لها أسوار حصينة، منها ما بناه الأمير عبد الرحمن بن الحكم. انظر: الحميري، مصدر سابق، ص 58–60.

[3] للتوسع أكثر أنظر: الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق روحيّة عبد الرحمان السويفي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م، ص16 و17. ابن خلدون: تاريخ 163/4 وما بعدها. ابن القوطية، مصدر سابق، ص75–78. ابن الخطيب، تاريخ، ص 18 وما بعدها. ابن عذارى، البيان، 80/2. طقوش، مرجع سابق، ص202–228.

[4] اشبيلية (Sevilla): مدينة جليلة بالأندلس بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام ومن الأميال ثمانون، أصل تسميتها باللاتنية الأرض المنبسطة، لها أسوار حصينة، منها ما بناه الأمير عبد الرحمن بن الحكم. واشبيلية من الكور المجندة، نزلها جند حمص ولواؤهم في الميمنة بعد لواء جند دمشق. انظر: الحميري، مصدر سابق، ص 58–60.

وتوفي الأمير عبد الرحمن عام 238هـ/852م[1]

5- بقية أمراء الدولة الأموية:

بعد وفاة الأمير عبد الرحمان الثاني، خلفه أمراء ضعاف مقارنة بقوته وبأسه، وكما ترك لهم تطورا حضاريا كبيرا، فإنّه في المقابل أورثهم بذور مشاكل وخلافات امتدت جذورها في تاريخ الأندلس وفي تركيبتها البشرية، لهذا اصطلح على الفترة التي تلت حكمه (238-300هـ/852-912م) بعصر "الفتنة والتمزق" وسمّاها آخرون بعصر "دويلات الطوائف الأول"، الذي دام 62 سنة، والأمراء الذين حكموا خلال الفترة هم:

- ✓ محمد بن عبد الرحمان (238-273هـ/852-886م).
- ✓ المنذر بن محمد (273-275هـ/886-888م).
- ✓ عبد الله بن محمد(275-300هـ/888-912م).

أهم ما ميز فترة الأمراء الثلاثة قيام عدّة ثورات قام بها المولدون* في طليطلة وعبد الرحمان بن مروان الجليقي، وثورة البربر في شنتبرية، وفي جنوب الأندلس، ولكن ثورة ابن حفصون بقيادة عمر بن حفصون الذي استقل وأتباعه بالمرتفعات الجنوبية للأندلس، واتخذوا من قلعة ببشتر[2] قاعدة لهم، تعدّ هي الأعنف خاصة وأنّها ستتواصل حتى عهد الخليفة عبد الرحمان الناصر، ومن جهة أخرى اعترفت بطاعة الأمير محمد "تاهرت" عاصمة الدولة الرستمية و"سجلماسة" عاصمة الدولة المدرارية بالعدوة المغربية، وهذا دليل امتداد النفوذ السياسي الأندلسي و توسعه خارج الأندلس[3].

---

[1] للتوسع أنظر:الحميدي، مصدر سابق، ص16 و17. ابن خلدون: تاريخ 163/4 وما بعدها، ابن الخطيب، تاريخ، ص 18 وما بعدها. ابن عذارى، البيان، 80/2. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 338 وما بعدها.

* المولدون: هم الإسبان الذين دخلوا الإسلام وتناسلوا مع المسلمين الأندلسيين، وغالبية المولين من أمهات إسبانيات.

[2] بُبشتر: حصن منيع بينه وبين قرطبة ثمانون ميلا، وهو حصن تزلُّ عنه الأبصار فكيف الأقدام، وطريقه عند الطلوع أو الهبوط على النهر، يتوفر على مياه كثيرة، وقد كان هذا الحصن قاعدة العجم وفيه الكنائس. انظر: الحميري، مصدر سابق، ص 79.

[3] لمعرفة التفاصيل خلال الفترة انظر: الضبي، : أحمد بن عميرة الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحيّة عبد الرحمان السويفي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م، ص20. ابن الأثير، الكامل، 39/6 ،59، 61. ابن القوطية، مصدر سابق، ص113 وما بعدها. المقرى، النفح، 337/1-339. ابن عذارى، البيان، 93/2-156. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص344-366. عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص 243-275.

وفي سياق موضوعنا شهدت هذه الفترة الطويلة انفتاح الأندلس على بعض المذاهب غير المذهب المالكي الرسمي، مثل المذهب الشافعي[1]، بل و حاول الأمير محمد تقريب بعض علماء هذا المذهب إلى قصره، كالفقيه قاسم بن محمد بن سيّار (ت277 أو 278هـ / 890 أو 891م) الذي يعد أول من أدخل هذا المذهب إلى الأندلس[2]، وبقي بن مخلد(202هـ–276هـ/817–889م) الذي كانت له لقاءات مع بعض الأمراء الأمويين منهم محمد بن عبد الرحمن وابنه المنذر، وأول احتكاك له بالأمراء كان في عهد المحنة التي قادها بعض فقهاء المالكية المتعصبين ضده بسبب تدريسه "مسند ابن أبي شيبة" في المسجد الجامع بقرطبة، حتى وصل بقاضي قضاة قرطبة أصبغ بن خليل (ت273هـ/886م) أن قال "لأن يكون في تابوتي رأس خنزير أحبّ إليّ من أن يكون فيه مسند ابن أبي شيبة"[3]، ولما وشي به للأمير محمد استدعاه واستفسر عن الكتاب الذي يدرِّسه، ولما قرأ الأمير هذا المسند، أمر خازن كتبه بأن ينسخ له نسخة منه، وقال لبقي: "أُنشر علمك وارو ما عندك" ونهاهم أن يتعرضوا له.[4]

---

[1] نسبة لمحمد بن إدريس الشافعي ولد بغزّة سنة 150هـ/767م وتوفي في رجب 204هـ/819م، من مؤلفاته "الرسالة" و"الأم": شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، اعتنى به محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، ط1، القاهرة، مصر، 1423هـ/2003م، 6/7–42. – ابن عبد البر، أبو عمر يوسف (ت463هـ/1070م)، الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، اعتنى بنشره عبد الفتاح أبو غدّة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/1997م، ص115–162. ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباس، دار الفكر، دار الصادر، بيروت، لبنان. د.س.ط، 4/163–169. أبو بكر هداية الله الحسيني، طبقات الشافعية، تحقيق وتعليق عادل نويهض، منشورات دار المعارف، بيروت، لبنان، د.س.ط، ص11–14.

[2] محمد بن حارث الخشني، أخبار الفقهاء و المحدثين، دراسة وتحقيق ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1992م، ص301 وبعدها. المقري، النفح، 2/267–268، 4/156. ابن الفرضي، مصدر سابق، ص 288. الحميدي، مصدر سابق، ص 396. ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط2، د.س.ط.، ص 159. دومينيك إيرفوا، "علماء الأندلس"، ترجمة مصطفى رقي، كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى خضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، لبنان، 1999، ج2، ص 1185.

[3] ابن الفرضي، مصدر سابق، ص 73. حسين مؤنس، شيوخ العصر، ص 48.

[4] ابن حيان الأندلسي، أبو مروان حيان بن خلف (ت467هـ/1076م)، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.س.ط. (القطعة الثانية)، ص 145–150. الخشني، أخبار، ص 57. ابن عذارى، البيان، 2/111. النباهي المالقي، أبو الحسن عبد الله بن الحسن (حي793هـ/1390م)، تاريخ قضاة الأندلس (كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان 1400هـ/1980م، ص 18 و 19.

وقد انتهت هذه الفترة[1] بتولي "عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله"الملقب (الثالث، الناصر لدين الله) الحُكم فيما بين (300–350هـ /912–961م) وهو حفيد الأمير عبد الله بن محمد وكان عمره حين تولى الحكم ثلاثا وعشرين سنة، وعلى الرغم من أنّه ليس ابنا مباشرا للأمير عبد الله بن محمد، بل هو حفيد له – أي لا يحق له الحكم بطريقة النظام المتبع– فإنّ أعمامه زهدوا في الحكم للأخطار والمكاره المحفوفة بالحاكم خلال هذه الفترة[2]

وقد وجد الأمير عبد الرحمان الأندلس مضطربة فأنهى آخر فصل من فصول عصر الفتنة والتمزق (عصر الطوائف)، حتى أصبح أقوى حاكم على وجه الأرض، ثم أعلن نفسه خليفة للمسلمين في الغرب الإسلامي* سنة 316هـ/929م واتخذ لنفسه لقب أمير المؤمنين[3]ومن هذا التاريخ تدخل الأندلس عهد الخلافة.

II– المذهب الأوزاعي في الأندلس:

يفتخر أهل الأندلس أنّ حاضرتهم قد دخلها بعض الصحابة والتابعين، وأنّ منهم من أقام بها حتى استشهد، ومنهم من شارك في الفتح فقط وقفل راجعا، وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد من الصحابة المنيذر ومن التابعين أميرها موسى بن نصير، وحنش الصنعاني، أمّا بالنسبة للمذاهب الفقهية فكان أول المذاهب وصولا هو مذهب الإمام الأوزاعي، ثم مذهب الإمام مالك بن أنس.

---

[1] لمعرفة التفاصيل خلال الفترة انظر: ابن الأثير، الكامل، 39/6 ،59 ،61. ابن القوطية، مصدر سابق، ص113 وما بعدها. المقرى، النفح، 337/1–339. ابن عذارى، البيان، 93/2–156. صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تحقيق وتعليق حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، د.س.ط، ص85. مؤنس، شيوخ، ص35. ابن الخطيب، تاريخ، ص22 وما بعدها. أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.س.ط، ص156.

[2] للتوضيح أكثر انظر: ابن عذارى، البيان، 156/2 و 157. عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص280. النعنعي، مرجع سابق، ص315–316. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص377. عنان، تراجم، 167 وما بعدها.

* يقصد بمصطلح الغرب الإسلامي العدوة المغربية والعدوة الأندلسية وباقي جزر البليار، والمصطلح معاصر.

[3] تلقب عبد الرحمان الناصر بهذا اللقب لعدّة عوامل منها: – ضعف الخلافة العباسية في المشرق، وعجزها عن حماية العالم الإسلامي. – قيام خلافة شيعية في المغرب (الخلافة الفاطمية) 297هـ والتي كانت تطمح في السيطرة على الأندلس. – رفع مكانة أمير قرطبة الدّينية والسياسية. – الاستجابة لرغبة الأندلسيين في أن يكون عبد الرحمان خليفة لهم. عن سيرة الخليفة و أسباب إعلانه الخلافة وحكمها الشرعي، انظر: ابن عذارى، البيان، 156/2 وما بعدها. ابن الخطيب، تاريخ، ص28 وما بعدها. ابن خلدون: تاريخ، 178/4 وما بعدها. المقري، النفح، 339/1. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص378 وما بعدها. عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص286 وما بعدها. ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، دار النفائس، ط5، بيروت 1405هـ/1985م، ص 319 وما بعدها.

1- دخول المذهب الأوزاعي[1] للأندلس:

دخل المذهب الأوزاعي إلى الأندلس في أواخر عهد الولاة، واستمر إلى بدايات عهد الأمير الأموي هشام بن عبد الرحمن الداخل، وقد اعتمدته الدولة في القضاء، والصلاة، واختلفت المصادر في تحديد أول من أدخل المذهب الأوزاعي إلى الأندلس، فمنهم من يذكر أسد بن عبد الرحمن السبئي، ومنهم من يرجّح صعصعة بن سلاّم الشامي.

فأمّا "أسد بن عبد الرحمن السبئي وقيل السائي"، فهو من قرية ربلس (إقليم همذان) من كورة البيرة[2]، أصله شامي، وقد شحت المصادر في ذكر حياته، و سمي في وقته "بأفقه الناس في مسائل الجهاد"، روى عن عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، وعن أبي مسلم مكحول بن سهراب الدمشقي (ت116هـ/734م).

أمّا "صعصعة بن سلاّم الشامي" فهو فقيه من أصحاب الأوزاعي، بل من أظهر تلامذته في عاصمة بني أمية، فقد ذكر أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس، أنّه دمشقي، ويكنى أبا عبد الرحمن، أمّا انتسابه للأندلس فهو بحكم استقراره فيها، روى عن الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز، ونظرائهما من الشاميين، وقد أُعتبر صعصعة بن سلاّم أول من أدخل الحديث و مذهب الأوزاعي إلى الأندلس[3].

روى عنه من أهل الأندلس عبد الملك بن حبيب، وعثمان بن أيوب وغيرهما، وقد ذكره الأول في كتابه "طبقات الفقهاء"، ومما رواه عن الإمام الأوزاعي قوله: "فضل العلم خير

---

[1] المذهب الأوزاعي: ينتسب هذا المذهب إلى مؤسسه أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي شيخ الإسلام وعالم أهل الشام، ولد ببعلبك سنة 88هـ/706م، كان إماما في الفقه والحديث، سئل الأوزاعي عن الفقه وعمره ثلاث عشرة سنة، وأخذ عنه العلم كبار العلماء من أمثال سفيان الثوري، وقد اجتمع الأوزاعي بمالك في مسجد المدينة من صلاة الظهر إلى صلاة المغرب وقد قال الإمام مالك في حقّه "الأوزاعي، إمام يقتدى به"، وقال فيه أحدهم "ما كان أحد بالشام أعلم بالسنّة من الأوزاعي"، توفي رحمه الله ببيروت سنة157هـ/774م، أنظر: أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، طبقات الفقهاء، تحقيق وتقديم إحسان عباس، دار الرائد العربي، ط2، بيروت، لبنان، 1401هـ /1981م. ص76. ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276هـ/889م)، المعارف لابن قتيبة، حققه وقدم له د. ثروت عكاشة، دار المعارف، ط2، مصر، 1969م، ص 496 و497. الذهبي، سير، 296/5 و297. ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1405هـ/1985م، 488/7. محمد الخضري بك، تاريخ التشريع الإسلامي، دار أشريفة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، د.س.ط، ص265 و266. أحمد عبد المنعم البهى، الأوزاعي فقيه الشام والأندلس وإمامهما، مجلة العربي، عدد 107، عام 27 جمادى الثانية 1387هـ/أكتوبر1967م، الكويت، ص37.

[2] إلبيرة (Elvira) بينها وبين غرناطة 6 أميال، وتقع بين القبلة والشرق من قرطبة، انظر: الحميري، الروض، ص 28 و 29.

[3] ابن الفرضي، مصدر سابق، ص 169. الحميدي، مصدر سابق، ص214. الضبي، مصدر سابق، ص 281. ليفي بروفنسال، الحضارة، ص 153.

من فضل العبادة، ورأس الدين الورع، ومن ورع فقد ذكر الله جلّ وعز، وإن قلّت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن".[1]

توفي رحمه الله سنة 192هـ/807م[2].

وهنا نطرح السؤال عن العوامل والأسباب التي ساعدت على دخول مذهب الأوزاعي للأندلس وانتشاره بها؟

بعد الإطلاع على ما استطعنا جمعه من معلومات عن هذا المذهب في الأندلس، خلصنا إلى ما يلي:

- ✓ اهتمام المذهب الأوزاعي بالتشريعات الحربية و أحكام الجهاد[3]، وهذا يناسب وضع الأندلس خلال هذه الفترة إذ كانت حياة سكانها قائمة على مبدأ الجهاد ضد النصارى الأسبان في الشمال، وكذلك الجهاد في بلاد الفرنجة خلف جبال البرتات (فرنسا الحالية).[4]
- ✓ جل الجند الفاتحين والقادمين من المشرق، هم من الحجاز ومن الشام خاصة (مركز انتشار المذهب الأوزاعي)، ومثال ذلك طالعة "بلج بن بشر" سنة 125هـ/742م.[5]
- ✓ ميل الأندلسيين إلى البساطة في أخذ الدّين دون تعقيد (قبول أهل الحديث دون أهل الرأي)، وسيخلفهم المذهب المالكي الذي يعد أتباعه من أهل الحديث أيضا.

2- فقهاء المذهب الأوزاعي في الأندلس:

استطاع مذهب الإمام مالك كما سنبيّن التوسع في الأندلس على حساب المذهب الأوزاعي في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن، لكن بعض الفقهاء حافظوا على المذهب، حتى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، ومن فقهاء المذهب الأوزاعي نجد:

- ✓ زهير بن مالك بن سرحان بن زهير بن مالك بن أبي الأملح عدي بن جذيمة بن معد البلوي: من أهل قرطبة، يكنى أبا كنانة، أقطع الأمير عبد الرحمان الداخل

---

[1] الخشني، أخبار الفقهاء، ص208.

[2] اختلف في تاريخ وفاته، فقيل سنة 180هـ، وقيل 201هـ. انظر: الخشني، أخبار الفقهاء، ص 208. ابن الفرضي، مصدر سابق، ص 168 و169. الحميدي، مصدر سابق، ص214. الضبي، مصدر سابق، ص 281.

[3] ذكر المستشرق الألماني شاخت أنّ الإمام الأوزاعي تأثر بالتشريع الروماني، غير أنّ من يقرأ له يقطع هذا الرأي ويدرك بأنّه لم يهتم بأي تشريع غير الشريعة الإسلامية، مع العلم أنّ الإمام الأوزاعي كان من المجاهدين المرابطين في مدينة بيروت، التي كانت رباطا ضد العدوان البيزنطي. انظر: مراد يحي، افتراءات المستشرقين على الإسلام و الردّ عليها، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1425هـ/2004م، ص 288، وعنه نقلنا قول شاخت. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 319.

[4] النعنعي، مرجع سابق، ص170. العبادي، في التاريخ العباسي و الأندلسي، ص319.

[5] بروفنسال، الحضارة، ص55.

جدهم "عدي بن جذيمة" أراضي بجهة فحص البلوط، وهي تنسب إليهم "قوم بني الأملح"، لهذا كان زهير مضطرب السكن بين مدينة باجة[1] وفحص البلوط[2]، يذكر أنّه كان فقيها على مذهب الأوزاعي، وقد ذكر ابن الحارث أنّ الفقيه عبد الملك بن حبيب المالكي، كان يعذل (يلوم) أبا كنانة على انحرافه عن مذهب أهل المدينة، وتمسكه برأي الأوزاعي، فكان زهير يقول له:"حسدتني إذ انفردت بالأوزاعية دون أهل البلد"، ولا ندري إن كان قد تولى منصبا في حياته، ونرجّح عدم حصول ذلك في ظل توسع المذهب المالكي. توفي في صدر أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن (بعد 238هـ و قبل 250هـ).[3]

✓ عبد الملك بن الحسن بن محمد بن رزيق بن عبيد الله بن رافع بن أبي رافع: من أهل قرطبة، يكنى أبا مروان، ويعرف بزونان، كناه ابن الحارث، أبا الحسن، وقد روى عن صعصعة بن سلام الأوزاعي، وكانت له رحلة سمع فيها من أشهب بن عبد العزيز (ت204هـ/819م) وعبد الرحمن بن القاسم (ت191هـ/806م) وهما من أقطاب المالكية بمصر وغيرهما، تولى عبد الملك منصب الفتيا في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن، وصدرا من عهد ابنه الحَكَم ، وقد كان على مذهب الأوزاعي، ثم رجع إلى مذهب المدينيين (المالكي). توفي سنة 232هـ/846م، في أواخر عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم[4]

---

[1] باجة: (Beja) في البرتغال الحالية، وهي من أقدم مدن الأندلس، بينها وبين قرطبة 100 فرسخ، وبها ثار العلاء بن مغيث الجذامي على الأمير عبد الرحمن الداخل، سمّاها القيصر "يوليش جاشر" باجة، ومعناها "الصلح"، منها عدّة علماء كأبي الوليد الباجي. انظر: الحميري، الروض، ص 75.

[2] فحص البلوط(Los Pedoches): من ناحية قرطبة، ومن هذا الفحص جبل البرانس، فيه معدن الزئبق، والزيتون المتناهي الجودة، وهو كثير أشجار البلوط، إليه ينسب القاضي منذر بن سعيد البلوطي. انظر: الحميري، الروض، ص435 و436.

[3] ذكر الخشني أنّ وفاته كانت في صدر الخليفة محمد، والأصل هو الأمير بدلا من الخليفة، لأنّ الخلافة لم تعلن حتى 316هـ/928م كما عرفنا سابقا. انظر: الخشني، أخبار الفقهاء، ص100 و 101. ابن الفرضي، مصدر سابق، ص 131. الحميدي، مصدر سابق، ص 194. الضبي، مصدر سابق، ص 256.

[4] ابن الفرضي، مصدر سابق، ص 220. الحميدي، مصدر سابق ، ص 250. الضبي، مصدر سابق ، ص 328.

✓ مصعب بن عمران: يكنى: أبا محمد، دخل الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية، وكان راوية عن الأوزاعي وغيره من الشاميين، كما روى عن المدينيين (المالكية)[1] لهذا فهو قد جمع بين مذهبين من مذاهب أهل الحديث، وهناك من يذكر بأنّ مصعب لم يقلّد مذهبا بعينه، وكان يقضي بما يراه صوابا، وما عُرف عنه أنّه كان خيّرا فاضلا.[2]

✓ محمد بن إسحاق بن إبراهيم الأندلسي: شحت المصادر كثيرا في التعريف به سوى ما ذُكر عنه من أنّه كان يروي عن الأوزاعي، وحتى هذه الرّواية فيها شك، إذ قيل إنّه منكر الحديث[3]

ويبقى مجال البحث في معرفة فقهاء مذهب الإمام الأوزاعي بالأندلس مجالا خصب للباحثين، لأنّ جل كتب الطبقات ركزت على فقهاء المالكية.

III- المذهب المالكي[4] في الأندلس:

انتشر مذهب الإمام مالك في الأندلس كما انتشر في بلاد المغرب الإسلامي، وأصبح الغرب الإسلامي جله مالكيا، ونشر طلبته آراءه الفقهية والعقدية، وأصبحوا حملة لواء السنّة في الدفاع عن العقيدة، وبدخول المذهب المالكي الأندلس، بدأ مذهب الإمام الأوزاعي ينحسر عنها.[5]

---

[1] ابن الفرضي، مصدر سابق ، ص397.

[2] نفسه، ص 397. النباهي، مصدر سابق، ص 47.

[3] ابن الفرضي، مصدر سابق، ص296. الحميدي، مصدر سابق، ص39.

[4] نسبة للإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمر ابن الحارث، ولد سنة 93هـ وقيل 94هـ بالمدينة، وهو إمام دار الهجرة، وأحد أئمة المذاهب السنية الأربعة المشهورة، أشتهر بكتابه الموطأ، قال ابن وهب: سمعت مناديا ينادي بالمدينة، "ألا لا يفتي الناس إلاّ مالك بن أنس وابن أبي ذئب"، توفي سنة 179هـ/795م. انظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، و دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، 1387هـ/1967م، ج1، ص102 وما بعدها. ابن عبد البر، ص36 وما بعدها.

[5] إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، ط1، سوريا، 1426هـ/2005م، ص39 و40.

جاء في ملحق كتاب "الحضارة العربية في إسبانيا"، للمستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال ما يلي: "إذا كانت إسبانيا الأموية قد عُرفت دائما بأنّها قلعة حصينة من قلاع أهل السنة المحافظين، فإنّها قد اشتهرت في الوقت نفسه بأنّها من أقوى حصون المذهب المالكي، لكنها مالكية جامدة، ومن ثمّ يصحّ لنا أن نطلق عليها اسم مالكية الأندلس"[1]

1- دخول المذهب المالكي للأندلس:

اختلفت المصادر فيمن أدخل كتاب "الموطأ" *للإمام مالك بن أنس إلى الأندلس، فمنهم من ذكر الغازي بن قيس كابن القوطية في تاريخ إفتتاح الأندلس، والزبيدي الذي ذكره في الطبقة الأولى من طبقات النحويين واللغويين الأندلسيين[2]، لكن الغالبية ترجّح زياد بن عبد الرحمن الملقب بشبطون، لأنّه أدخله متقنا مكملا.[3]

وعليه فالغازي بن قيس هو أول من أدخل الموطأ، لكن الذي أدخله منقحا وتاما مع فقه الإمام مالك فهو زياد بن عبد الرحمن.

ولانتشار المذهب المالكي في الأندلس في عهد الأمير هشام على الخصوص والعهد الأموي على العموم عدّة أسباب منها:

- ✓ طبيعة أهل الأندلس والمغرب أميل إلى طبيعة أهل الحجاز في البداوة كما يذكر ابن خلدون، على عكس أهل العراق.[4] أي يقبلون في فكرهم البساطة من دون تعقيد عقلي أو

---

[1] لا يمكن الحكم إجمالا على أنّ فقهاء المالكية اتصفوا كلهم بهذا الجمود، وسنأتي على أمثله متفرقة من هذا البحث. انظر: بروفنسال، مرجع سابق، ص 149.

* الموطأ: أول كتاب ألف في الحديث، نقحه الإمام أربعين سنة، وللخليفة أبو جعفر المنصور دور عندما قال للإمام في موسم الحج:"ضع للناس كتابا في السنّة و الفقه، تجنّب فيه رخص ابن عباس، و تشديدات ابن عمر، و شواذ ابن مسعود، و وطئه توطئا".

[2] الغازي بن قيس، رحل في صدر أيّام عبد الرحمان الداخل، فسمع من مالك "الموطأ" وقرأ القرآن عن "نافع بن أبي نعيم" قارئ أهل المدينة، وقيل إنّه كان يحفظ الموطأ ظاهرا، توفي أيام الأمير الحَكم سنة 180هـ/796م. انظر: القاضي عياض، ترتيب، 348/1 و349. الخشني، مصدر سابق، ص291 و292. ابن الفرضي، مصدر سابق، ص 272. أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين و اللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1973، ص 254-256.

[3] زياد بن عبد الرحمن اللخمي: فقيه الأندلس، سمع من مالك الموطأ، وله عنه سماع، ويذكر أنّ الأمير هشام أراد تولية زياد القضاء، فخرج زياد هاربا بنفسه، وقال زياد لوزراء الأمير هشام عندما عرضوا عليه القضاء: إذا أكرهتموني فزوجتي طالق ثلاثا، أختلف في تاريخ وفاته مابين 193، 199، 204هـ انظر: الخشني، قضاة قرطبة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، لبنان، 1410هـ/1989م، ص28. الخشني، أخبار، ص95-98. عياض، ترتيب، 349/1 -353. ابن الفرضي، مصدر سابق، ص131-132.

[4] ابن خلدون: تاريخ، 568/1.

فلسفي ولم يتأثروا بالحضارة العقلية اليونانية كما كانت عليه حواضر الخلافة العباسية في العراق.

- ✓ شخصية الإمام مالك التي تتسم بالعلم والزهد في الدنيا، وكانت تعلو وجهه مهابة، وقد قال تلميذ الإمام مالك سعيد بن أبي هند: "ما هبت أحدا هيبتي لعبد الرحمن بن معاوية حتى حججت فدخلت على مالك فهبته هيبة شديدة حتى صغرت عندي هبة عبد الرحمن لهيبته" وقد لقبه الإمام مالك بالحكيم[1]
- ✓ مدح الإمام مالك في إحدى حلقه الأمير هشام، وبحضور عدد من طلبته الأندلسيين حين قال: "نسأل الله أن يزيّن حرمنا بملككم" فحملها الطلبة إلى الأمير هشام[2] وفي الوقت نفسه وجد المذهب الدعم من الدولة كما سبق وأن ذكرنا.
- ✓ تقريب الأمير هشام فقهاء المالكية دون غيرهم، ومحاولته كسب السند الشرعي للإمارة الأموية[3](لأنّ الخلافة العباسية الشرعية قائمة في المشرق).
- ✓ جل الذين دخلوا الأندلس في الفتح، هم من الحجاز في عهد موسى بن نصير، والشام في طالعة بلج بن بشر، فساعدهم ذلك على الاتصال بالإمام مالك وتلامذته، خاصة عند زيارة أهاليهم أو أثناء أداء الحج والعمرة.
- ✓ المذهب الحنفي كان المذهب الرسمي للدولة العباسية، فأرادت الأندلس الاستقلال بمذهب آخر وجدته في المذهب المالكي.
- ✓ كان مقيما في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وردت عدّة أحاديث في فضلها وفضل ساكنيها.
- ✓ هناك قصة رواها الجغرافي المقدسي وأكد أنّه سمعها من عدّة شيوخ بالأندلس، في أنّ فريقين تناظرا يوما بين يدي الأمير هشام، فقال لهم: من أين أبو حنيفة؟ قالوا: من الكوفة، فقال: من أين مالك؟ قالوا: من المدينة، فقال: علم دار الهجرة يكفينا، فأمر بإخراج أصحاب أبي حنيفة، وقال: لا أحب أن يكون في عملي مذهبان[4]

---

[1] ابن الفرضي، مصدر سابق، ص136.

[2] ابن القوطية، مصدر سابق، ص64. مجهول، أخبار مجموعة، ص 108.

[3] فرحات الدشراوي، الصراع المذهبي في الأندلس –عهد الإمارة والخلافة– المجلة العربية للثقافة، العدد 27، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، مارس–سبتمبر 1994، ص 12.

[4] شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الشامي المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط2، مدينة ليدن المحروسة، 1967م، ص 237.

وهكذا أصبح المذهب المالكي هو المذهب الرّسمي في الأندلس، ودارت عليه الفتيا و القضاء، وتشكلت مدرسة أندلسية مالكية، مؤسسها "زياد بن عبد الرحمان"، وتخرج منها العديد من الفقهاء، وقد اتخذ هؤلاء الفقهاء خاصة الأوائل منهم من كلام مالك عندما سئل عن الهيبة التي تعلوه فقال: "يُعلى بهذه المهابة جاه العِلم" شعارا لهم[1] لهذا لم يقبل العديد منهم المناصب الإدارية كالقضاء تورعا وزهدا فيه، كما فعل شيخهم الإمام مالك مع الخلافة العباسية، وقد خلّدت لنا المصادر العديد من الفقهاء، سنذكر بعضا منهم فقط .

وإذا جئنا لتفاصيل دخول وتوسع المذهب المالكي في الأندلس فإننا نعتقد أنّ التقسيم الذي وضعه الدكتور مصطفى الهروس يعد الأصوب والأوضح مقارنة بغيره من الباحثين، وقد قسمه إلى ثلاث مراحل:

1- مرحلة الظهور والتأسيس:

وقد شملت عهد الأمير عبد الرحمان الداخل بن معاوية، وبداية حكم إبنه هشام، وقد مثلها الفقيهان الغازي بن قيس، وأبو موسى عبد الرحمن الهواري[2] كونهما أول من التقى بالإمام مالك بن أنس وسمعا منه الموطأ، ولما عادا إلى الأندلس جلسا للتدريس.

---

[1] حسين مؤنس، شيوخ، ص16. حميد لحمر، مصطلحات لا يعذر بالجهل في مدرسة الفقه المالكي، مجلة الحضارة الإسلامية العدد2، أفريل 1996، يصدرها المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، وهران، الجزائر، ص129.

[2] عبد الرحمن بن موسى الهواري: يكنى أبا موسى، وهو من أستجة، لقي الإمام مالك، بعد أن رحل في أوائل عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية، سرقت كتبه أثناء عودته للأندلس، فجاء الناس يهنئونه لقدومه ويعزونه في الكتب التي ضاعت منه، فقال لهم:"ذهب الخرج، وبقي الدرج" يعني في صدره، ويذكر أنّه تولى القضاء عهد عبد الرحمن بن الحَكَم. ابن الفرضي، مصدر سابق، ص213.

2- مرحلة الذيوع والانتشار:

وقد شملت عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن، وبداية إبنه الحَكم، مثّلها الفقيه زياد بن عبد الرحمان، وكذا دور الأمير هشام في اختيار المذهب المالكي كمذهب رسمي للدولة.

3- مرحلة السيادة و النفوذ:

وقد شملت عهد الحَكم بن هشام ومن جاء بعده، وقد مثّل هذه المرحلة يحي بن يحي الليثي، طالوت بن عبد الجبار، عيسى بن دينار، ويحي بن مضر القيسي الذي صلبه الحَكم وغيرهم، حيث بعد ثورة الفقهاء سنة189هـ، وهيج الربض سنة 202هـ الذي كان لفقهاء المالكية دور فيه أدرك الحكم ضرورة تقريب فقهاء المالكية، ثم أصدر قرارا يوجب تمسك الأندلسيين بالمذهب المالكي.[1]

2- فقهاء المذهب المالكي:

برز في الأندلس علماء كثر حفلت بهم كتب الطبقات، وخير مثال على هؤلاء نختار ما قاله الفقيه المالكي الأندلسي"محمد ابن لبابة"[2]: "فقيه الأندلس عيسى بن دينار، وعالمها عبد الملك بن حبيب، وراويها يحي بن يحي الليثي"[3]وسنعرّف بكل واحد منهم على الترتيب التالي:

- ✓ عيسى بن دينار: عيسى بن محمد بن دينار بن واقد ،من أهل طليطلة، يكنى أبا محمد، نشأ في طليطلة وطلب العلم في قرطبة، ثم سكن مصر ولقي أبا القاسم وروى عنه سماعه من مالك، وروى عن الكثير من علماء المالكية، ويذكر أنّه كان مجاب الدعوة، وكان يصلي الصبح بوضوء العشاء، كتب له الحَكم الأمان بعد هيج الربض، دارت عليه الفتيا، وله كتاب "الهداية" و"كتاب البيوع"، توفي 212هـ.[4]

---

[1] للتوسع في المراحل، أنظر: مصطفى الهروس، "قيام المدرسة المالكية بالأندلس"، ندوة التراث المالكي في الغرب الإسلامي، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1998، ص207-219.

[2] محمد بن عمر بن لبابة، يكنى عبد الله بن لبابة الفقيه، روى عن العديد من علماء الأندلس، كان مقدما على أهل زمانه في حفظ الرأي والبصر بالفتيا، وكان مشاورا أيام الأمير عبد الله، ثم انفرد بالفتيا في عهد الناصر، وله كتاب "المنتخب" الذي قال فيه ابن حزم "مارأيت لمالكي قط كتابا أنبل منه في جمع روايات المذهب، وشرح مستغلقها وتفرع وجوهها". توفي 314هـ/926م. ابن الفرضي، مصدر سابق، ص320. الخشني، أخبار الفقهاء ص 144-147. الحميدي، مصدر سابق، ص 67 و68.

[3] ابن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة، دار عمّار، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م، ص234 و235.

4 انظر : ابن حيّان، المقتبس، تح. مكي، ص42 ،78 ،84 ،99. الضبي، مصدر سابق، ص351 و352. الحميدي، مصدر سابق، ص264. الخشني، أخبار الفقهاء، ص270-272. أحمد أمين، الظهر، 50/3.

✓ عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون أبو مروان السلمي: فقيه متصرف في فنون من الآداب، كثير الحديث، تفقه بالأندلس ورحل فلقي أصحاب مالك وغيرهم، له في الفقه كتاب كبير يسمى "الواضحة" وله "الجوامع" و"فضل الصحابة"، "غريب الحديث" و"تفسير الموطأ" توفي بالأندلس سنة 232هـ، وقيل 238هـ.[1]

✓ يحي بن يحي الليثي: يحي بن عبد الله بن يحي بن يحي بن يحي الليثي، من أهل قرطبة يكنى أبا عيسى، أصله من البربر، طلب العلم في الأندلس من زياد بن عبد الرحمان(شبطون)، أدرك مالكا وسمع منه الموطأ، وسمع بمكة عن سفيان بن عيينة، وفي مصر من الليث بن سعد، عادت إليه الفتيا بالأندلس، وخالف مالكا في بعض المسائل كترك القنوت في الصبح، وكان الأمير عبد الرحمان بن الحكم يبجله ويستشيره في جميع أموره، أبى ولاية القضاء التي عرضت عليه، ويذكر أنّ مالك سمّاه "عاقل أهل الأندلس"، توفي 233هـ، وقيل 334هـ[2]

ومن فقهاء المالكية أيضا نجد:

✓ يحي بن إبراهيم بن مزين: من أهل قرطبة و أصله من طليطلة، روى عن عيسى بن دينار ويحي بن يحي ونظرائهما، ورحل إلى المشرق في أيام الأمير عبد الرحمان الثاني، فلقي بالمدينة مطرف بن عبد الله صاحب مالك بن أنس فروى عنه الموطأ، ودخل العراق ومصر، كان له حظ من علم العربية، ألّف كُتبا حسانا، منها تفسير الموطأ وتسمية الرجال المذكورين فيه، المستقصية، توفي 259هـ وقيل 260هـ [3]

✓ محمد بن أحمد العتبي:

---

[1] ابن الأبار القضاعي، الحلة السيراء، حققه وعلّق عليه عبد الله أنيس الطبّاع، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1381هـ/1962م، ص205 و206. ابن الفرضي، مصدر سابق، ص221–223. الضبي، مصدر سابق، ص329 و330. الحميدي، مصدر سابق، ص237 و250. الخشني، أخبار الفقهاء، ص245–254. ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.س.ط، ح2، ص 8–15. أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب، المعروف بابن قنفد القسنطيني، كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1982، (المتن و الهامش)، ص 171 و172. ميكلوش موراني، دراسات في الفقه المالكي، ترجمة سعيد بحيري وصابر عبد الجليل، مراجعة تحرير عبد الفتاح محمد الحلو، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1409هـ/1988م، ص 36–67.

[2] ابن عبد البر، الانتقاء، 105–109. عصام الدين شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان ، 1423هـ/2002م، ص142. الخشني، أخبار الفقهاء، ص348–367.

[3] انظر: ابن الفرضي، مصدر سابق، ص 432 و433. الخشني، أخبار الفقهاء، ص370–372. الضبي، مصدر سابق، ص 434. الحميدي، مصدر سابق، ص337.

✓ من وجوه علماء الأندلس، لم ير له نظير في البراعة وجودة الحفظ، والتمييز لصحيح الفتيا، سمع بالأندلس من يحي بن يحي وغيره، رحل إلى القيروان فسمع من سحنون بن سعيد، وجمع المستخرجة من الأسمعة وهو المشهور "بالعتبية" وإن ذكر بأنّ فيها أخطاء، توفي بالأندلس 255هـ وقيل 254هـ [1].

لقد مال بعض فقهاء المذهب المالكي إلى التزمت وعدم قبول المذاهب الفقهية السنية الأخرى، واهتموا في طلبهم للعلم بالفروع التي قننها طلبة مالك من بعده، وقد رأى المستشرقان "جولد تسيهر" و"ميجيل آسين بلاثيوس" أنّ المدرسة الإسبانية في الفقه قد تخلت سريعا عن دراسة الحديث وأعمال الصحابة، رغم أنّهما كانا الأساس الذي قام عليه مذهب إمام المدينة، واكتفت بدراسة كتب الفقه المبسوطة، كما ألّفها بعض علماء المالكية من الأجيال التي تلت الإمام مالك.[2]

---

[1] انظر: الخشني، أخبار الفقهاء، ص119–121. ابن الفرض، مصدر سابق، ص297 و298. الضبي، مصدر سابق، ص40. الحميدي، مصدر سابق، ص36 . موراني، مرجع سابق، ص110–139.

[2] نقلا عن بروفنسال ، تاريخ، ص 155. وعن تشدد مالكية الأندلس، انظر: L.Provençal, Histoire, Tom III, P.457 .

وعلى الرغم من المكانة التي وصل إليها فقهاء المالكية في الجانب الفقهي كحفظ موطأ مالك أو مدونة سحنون وغيرهما، والحظوة التي نالوها في الجانب السياسي، فإنّ الكثير منهم قد غالى في تعصبه لآراء الإمام مالك و تلامذته، حتى حاد بعضهم عن الطريق، بل ومنهم من افتعل أحاديث لم ترو عن النبي صلى الله عليه وسلم ليؤيد رأيه، وخير مثال على ذلك "أصبغ بن خليل" (ت273هـ/886م) الذي دارت عليه الفتيا بالأندلس خمسين عاما، وشُهد له بحفظ رأي مالك، وبصره بعلم الشروط والعقود، لكن ذلك لم يمنعه من افتعال حديث يريد أن يرجّح به رأي مالك في عدم مشروعية رفع اليد بعد تكبيرة الإحرام، كما كان ممن وشى "ببقي بن مخلد" الشافعي للأمير "محمد" كما سبق وأن ذكرنا[1]، ويمكن اختزال هذا التعصب في قول الرحالة "المقدسي" عندما زار الأندلس: " أمّا في الأندلس فمذهب مالك وقراءة نافع، وهم يقولون لا نعرف إلاّ كتاب الله وموطأ مالك، فإن ظهروا على حنفي أو شافعي نفوه، وإن عثروا على معتزلي أو شيعي ونحوهما ربّما قتلوه".[2] وإن كان لدينا تحفظ عموما على بعض العبارات التي ذكرها ولا يسع هذا المقال التفصيل فيها.

الخاتمة:

استطاع الأمويون في الأندلس أن يقيموا دولة سياسية وحضارية قوية فاقت حتى مركز الخلافة الإسلامية العباسية في المشرق، وتقدمت عسكريا وجغرافيا على الممالك والدول الأروبية، وفي نفس الوقت استطاع المذهب المالكي من خلال فقهائه ودعم السلطة الأموية له أن يتوسع على حساب المذهب الأوزاعي، وهكذا وجدت فيه الإمارة الجديدة سندا لها قد يعطيها الشرعية في الحكم مع وجود الخلافة العباسية الشرعية في المشرق، كما ساهم فقهاء الأندلس في التراث الفقهي للمذهب المالكي وعدّ بعضهم أعمدة له كيحي بن يحي الليثي، وعبد المالك بن حبيب وابن عبد البر وغيرهم، واستطاع المالكية أن يحفظوا للأندلس وحدتها الدينية، والسياسية، وجنّبوها قيام دويلات مذهبية كما وقع في المغرب الإسلامي أين قامت الدولة الرستمية الإباضية في المغرب الأوسط، والدولة المدرارية الخارجية الصفرية في المغرب الأقصى، والدولة الفاطمية الشيعية في جل أرضي المغرب الإسلامي، ونفس الشيئ وقع في المشرق مع بني بويه والقرامطة وغيرهما.

---

[1] عن عدم فقه الفقيه أصبغ بن خليل لعلم الحديث ومعارضته لجل المهتمين به انظر: الخشني، أخبار الفقهاء، ص 33 وما بعدها. ابن الفرضي، مصدر سابق، ص 72 وما بعدها، الحميدي، مصدر سابق، ص 153. الضبي، مصدر سابق، ص 205.

[2] المقدسي، المصدر السابق، ص 236.

قائمة المصادر و المراجع:

I- المصادر:

1- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن القضاعي (ت685هـ/1286م):

- الحلة السيراء، حققه وعلّق عليه عبد الله أنيس الطبّاع، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1381هـ/1962م.

- درر السّمط في خبر السبط، تحقيق عز الدين عمر موسى، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م.

3- ابن الأثير، أبو الحسن علي (630هـ/1222م): الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، ط3، بيروت، لبنان، 1400هـ/1980م.

4- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف (ت463هـ/1070م): الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، اعتنى بنشره عبد الفتاح أبو غدّة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/1997م.

5- الحميدي، أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله (ت488هـ/1195م): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق روحيّة عبد الرحمان السويفي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م.

6- الحميري (محمد بن عبد المنعم): كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1975.

7- ابن حيان الأندلسي، أبو مروان حيان بن خلف (ت467هـ/1076م): المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي،بيروت، د.س.ط. (القطعة الثانية).

8- ابن خاقان، أبو نصر فتح بن محمد بن عبيد الله (ت529هـ/1135م): مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة، دار عمّار، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م.

9- الخشني، محمد بن حارث (ت361هـ/971م):

- أخبار الفقهاء و المحدثين، دراسة و تحقيق ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1992م. - قضاة قرطبة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، لبنان، 1410هـ/1989م.

11- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد (ت776هـ/1374م): تاريخ إسبانيا الإسلامية، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط2، بيروت، لبنان، 1956.

12- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1406م): تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1972.

13- ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباس، دار الفكر، دار الصادر، بيروت، لبنان. د.س.ط.

14- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (784هـ/1347م): سير أعلام النبلاء، اعتنى به محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، ط1، القاهرة، مصر، 1423هـ/2003م.

15- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن (ت379هـ/989م): طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1973.

16- ابن سعد، محمد (ت230هـ/844م): الطبقات الكبرى، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1405هـ/1985م.

17- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/1505م): تاريخ الخلفاء، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، د.س.ط.

18- الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف (ت476هـ/1083م): طبقات الفقهاء، تحقيق وتقديم إحسان عباس، دار الرائد العربي، ط2، بيروت، لبنان، 1401هـ /1981م.

19- صاعد الأندلسي، أبو القاسم بن احمد (ت462هـ/1070م): طبقات الأمم، تحقيق وتعليق حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، د.س.ط.

20- الضبّي، أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة (ت599هـ/1203م): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحيّة عبد الرحمان السويفي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م.

21- ابن عذارى المراكشي (ت706هـ/1306م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، لبنان، 1983م ،ج2, 3.

22- عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت544هـ/1149م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد

بكير محمود، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ودار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، 1387هـ/1967م، ج.1

23- ابن فرحون المالكي، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري (ت799هـ/1396م): الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.س.ط، ج.2

24- ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي (ت403هـ/1013م): تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روحيّة عبد الرحمان السويفي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1417هـ/1997م.

25- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت276هـ/889م): المعارف لابن قتيبة، حققه وقدم له د. ثروت عكاشة، دار المعارف، ط2، مصر، 1969م.

26- ابن قنفد القسنطيني، أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب: كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، .1982

27- ابن القوطية، أبو بكر محمد (ت367هـ/977م): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري-القاهرة- دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، 1410هـ/1989م.

28- المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت444هـ/1052م): كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية، وزهادهم ونسّاكهم، وسير من أخبارهم وفضائلهم و أوصافهم، تح، بشير البكوش، مراجعة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م.

29- مجهول (عاش في ق4هـ/8م): أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، دار الكتاب المصري، القاهرة، و دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، 1410هـ/1989م.

30- المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الشامي (ت حوالي 387هـ/997م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط2، مدينة ليدن المحروسة، 1967م.

31- المقري التلمساني، أحمد بن محمد (ت1041هـ/1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1415هـ/1995م.

32- النباهي المالقي، أبو الحسن عبد الله بن الحسن (حي793هـ/1390م): تاريخ قضاة الأندلس (كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان 1400هـ/1980م.

II- المراجع:

33- أرسلان (شكيب): تاريخ غزوات العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.س.ط.

34- أمين (أحمد): ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي، ط5، بيروت، لبنان، د.س.ط، ج.3

35- التهامي (إبراهيم): جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، ط1، سوريا، 1426هـ/2005م. (أطروحة دكتوراه مطبوعة).

36- حاطوم (نور الدين): تاريخ العصر الوسيط في أوربا، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.س.ط، ج.1

37- حجي (عبد الرحمن علي): التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم،ط5، دمشق، 1997م.

38- حسن (إبراهيم حسن): تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، لبنان ومكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط15، 1422هـ/2001م.

39- الخضري بك (محمد): تاريخ التشريع الإسلامي، دار أشريفة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، د.س.ط.

40- أبو زهرة (محمد): تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.س.ط،

41- سالم (عبد العزيز سالم): تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة في قرطبة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م.

42- شبارو (عصام الدين): الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1423هـ/2002م.

43- العبادي (أحمد مختار): - في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1972م.

- في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.س.ط.

45- عنان (محمد عبد الله): - تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1390هـ/1987م.

- دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر،العصر الأول، القسم الأول، مكتبة الخانجي،ط4، القاهرة،1389هـ /.1969

47- القاسمي (ظافر): نظام الحكم في الشريعة و التاريخ الإسلامي، دار النفائس، ط5، بيروت 1405هـ/1985م.

48- لقبال (موسى): المغرب الإسلامي من بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م.

49- مؤنس (حسين):- شيوخ العصر في الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1986.

- فجر الأندلس، الدار السعودية للنشر و التوزيع، ط2، جدّة، السعودية، 1405هـ/1985م.

51- النعنعي (عبد المجيد): تاريخ الدّولة الأموية في الأندلس-التاريخ السياسي-، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.س.ط.

- هداية الله الحسيني (أبو بكر): طبقات الشافعية، تحقيق و تعليق عادل نويهض، منشورات دار المعارف، بيروت، لبنان، د.س.ط.

52- يحي (مراد): افتراءات المستشرقين على الإسلام والردّ عليها، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1425هـ/2004م.

III- المراجع المعرّبة:

53- بالنتيا (آنخل جنتالث): تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.س.ط.

54- بروفنسال (ليفي): الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط2، د.س.ط.

55- موراني (ميكلوش): دراسات في الفقه المالكي، ترجمة سعيد بحيري وصابر عبد الجليل، مراجعة وتحرير عبد الفتاح محمد الحلو، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1409هـ/1988م.

IV- قائمة الدوريات و المقالات:

56- إرفوا (دومينيك): علماء الأندلس، ترجمة مصطفى رقي، كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى خضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، لبنان، 1999، ج.2

57- البهى (أحمد عبد المنعم): الأوزاعي فقيه الشام والأندلس وإمامهما، مجلة العربي، عدد 107، عام 27 جمادى الثانية 1387هـ/أكتوبر 1967م، الكويت.

58- الدشراوي (فرحات): الصراع المذهبي في الأندلس -عهد الإمارة والخلافة- المجلة العربية للثقافة، العدد 27، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، مارس-سبتمبر 1994.

59- لحمر (حميد): مصطلحات لا يعذر بالجهل في مدرسة الفقه المالكي، مجلة الحضارة الإسلامية العدد2، أفريل 1996، يصدرها المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، وهران، الجزائر.

60– مكي (الطاهر أحمد): الأندلس تاريخ اسم وتطوره، مجلة الأصالة، عدد3، جمادى الثانية 1491هـ/1971م، وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، الجزائر.

V– المراجع الأجنبية:

61- Lévi Provençal, Histoire de l`Espagne Musulmane, G-PMaisonneuve, Paris - E.J.Brill, Leden, 1950,Tome I, II, III